منظومة العلاج في المعرفة الصحيّة بتلمسان الوسيطية

The remedy system in health knowledge of medieval Tlemcen

أ.د. شخوم سعدي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة سيدي بلعباس–الجزائر
schakhoum@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: **2021/11/30** تاريخ القبول: **2021/12/06** تاريخ النشر: **2021/12/30**

ABSTRACT :

The hygienic system of *Tlemcen* was quite prevalent in the Maghreban historiography ; except a few references then an attempt to detail or build a elaborated picture in the historicism: may be considered as risk : research about the *maristān* was rare, and the remedies and treatment was referred more than the medicalization and therapy, we try to move beyond based on the historical and literature concept ; even if the authorship has been lessed and Highly Specialized in its knowledge, we were able to found some rare manuscripts in medicine, such as *Ibn Abī Ḥaǧlah al-Tilmisānī* (725-776 AH / 1325 - 1375 AD) and his manuscript Medicine titled:"*Aṭib-al-Masnūn fī aḥkām aṭū'ūn*",and anther one "*taqyīd fi māhiat el ''šāb*" by *Ibrāhim ben Aḥmad Al-Ṯaġri al-Tilmisānī*; We do not fail here to refer to the attempts that sought to address our proposal, such as Marchka's writings, and many other scientific investigations, our paper will focus on the practical aspect such as practice, treatment and remedy and its convergely with scientific medical knowledge and treatment described historically by colloquial botanical medicine or even those that go to spiritual treatments

Keywords: Tlemcen; Zayyanid dynasty; disease; epidemic; medicine; medication treatment; mortality; urbanization.

الملخص:

غَلَبَتْ الضّحالةُ في المدوّنة المغاربية الخاصّة بالوضع الصحي بالعهد الزيّاني بصفة عامّة إلاّ إشارات نجدها هنا وهناك تأتي على سبيل السّرد أكثر من كونها تقدّم معلومات تفصيليّة عن الوضع الصّحي بالمدينة، ،ومحاولة بناء صورة مفصّلة له قد يعدو مجازفةً في الطرح التاريخي المادي ؛ فالحديث عن المارستانات مفقود والتدبير والمداواة لا يعدو أن يتجاوز الإشارة دون المُراد من التّطبب والعلاج ؛ غير أننا سنحاول تجاوز الطّرح الكلاسيكي إلى كتب الطّب–وإن قلّ التأليف فيها– ؛ ونتيجة البحث المتواصل تحصّلنا على بعض المخطوطات النّادرة لبعض من كانت له مشاركة في الطّب مثل "الطب المسنون في دفع الطاعون" لابن أبي حجلة التلمساني (725 - 776 هـ/1325 - 1375م) و"تقييد في ماهية الأعشاب ومنافعها" لإبراهيم بن احمد الثغري التلمساني؛ ومذكرات الرّبي Alber lasry التي تحمل معلومات مهمة عن المارستانات التي أنشأها اليهود والموريسكيون بتلمسان ؛ ونشير إلى المحاولات التي سعت إلى تناول طرحنا مثل كتبات مارتشكا (Marchika Jean) وغيرها من المباحث العلمية العديدة ، وورقتنا ستركّز على الجانب الممارستي وتقاطعاتها مع المعرفة الطبية الموصوفة بالتداوي النباتي ؛وتلك التي تذهب إلى العلاجات الروحانية في مواجهة المرض والتي كانت محلّ نقد من طرف أطباء العدوة الأندلسية ،ومن المنتظر في هذه العرض الوصول إلى الصورة المقرّبة للنظام الصحة بتلمسان وتعلقاته بالوضع العمراني للمدينة ومحيطها الجغرافي.

الكلمات المفتاحية: تلمسان؛ الزيّانيون؛ الـــمرض؛ الوباء؛ الطّب؛ العلاج؛ التداوي؛ التدبير؛ المَوَتان؛ العمران.

المقدمة:

تمثل تلمسان –بالنسبة للدولة الزيّانية 633-962 هـــ / 1235-1554–واجهةُ الزّمان والمكان في مجموع المعارف العلميّة التي عرفتها هذه الدولة، فأغلب العلماء وتآليفهم

وانتاجهم وأطاريحهم تنسب لهذه المدينة التي تكاد تكون المدينة الدولة بالنسبة للزيانيين؛ حتى في فترات السيطرة الحفصية والمرينية[1]،ورغم طول مدة حكم الزيانييين وحروبهم وتراكمات المعارف لديهم إلاّ أنّ الوضع الصّحي الخاص بعهدهم لا يزال ضحلا في المدوّنة المغاربية بصفة عامة ولا يقدّم معلومات تفصيليّة عن الوضع الصحي وتراتيبه بالمدينة، وسنسعى عبر هذه الورقة البحثية إلى بناء صُور متعدد ومتراكبة للجهاز الصحّي التلمساني في المخيال الوسيطي للمدينة؛منطلقين من أسئلة تلاقي الباحث تتمثّل في هذا الغياب الواضح للعلم الطّبي وماهيّة عوامله وعلل استمرار هذا الوضع لفترات طويلة ،وهل غياب التدوين الطبي العلمي يعني انعدامه أو وجود معرفة طبية غير عربية كالبربرية مثلا أو السريانية ،وسنعتمد على المنهج الكيفي مستأنسين بالكمي في مثل هذه الحالات التي تقل فيها المادة.

1. صورة الصحة والعلاج في العقل التلمساني:

الواقف على المدونة التلمسانية في الفترة الوسطى يلاحظ أنّها لم تشذّ عن الطرح المعرفي العام لبلاد الإسلام التي تتمركز حول حقل المعرفة الدينية وتجعله أساسا لمفاهيمها كما ونوعا[2] ،فأغلب المؤلفات والروايات تتعلق بالعلوم الدينية وإن تجاوزتها فإلى الجانب الممارساتي لها والموصوف بالتصوف المناقبي، ولهذا إذا أردنا معرفة التفكير التلمساني ورؤيته للصحة نجدنا نتجه رأسا للمنظومة الدينية التي يبرز فيها الفقه كعلمٍ أساس يمثل أغلب التراكمات المعرفية للمثقّف التلمساني بصورة عامة رغم أن جلّ مصنفاتهم مفقودة[3] ،غير أن الفقه باعتبار اختصاصه لا يمثل الطبيب لكنه يتعرض لجانب مهم ذي علاقة رأسية بالصحة ونعني هنا المرض والموت ؛ والمقصود ليس التعامل مع المرض في الكتابة الكلاسيكية الفقهية العامة التي تتعلق بالمعاذير، بل صورته في العقل سواء الفقهي أو ما كان يعرف بالعامي ، ففي المدونة الفقهية

نلاحظ أن المرض نوعان : المرجى بُرؤه ، والمخوّف الذي قد يؤدي إلى الموت[4] ،لكننا نلاحظ في أسئلة المرضى المعذورين ودلالتها على المرض بتلمسان؛ فكثيرا ما يطرح بعض السائلين في كتب النوازل أسئلة تتعلق بالبحث عن معاذير متعلّقة بالعبادة وبعض المعاملات .واستقصاءها ومعرفة طبيعة السائل ووضعية ومدى تعبير السؤال عن حالة عامة قد تصل الى التعبير عن وباء أو مجاعة، والواقف على التدوين النوازلي التلمساني –خاصة الأسئلة– يلاحظ أنّ الـــمرض مرتبط دائما بالموت وكأن بالمريض في وضعية اجتماعية تجعله في حكم الميت أو الغائب وهذا من خلال التتبع لمجل الأسئلة المطروحة[5] كما نبينها في الجدول التالي :

عدد أسئلة المرضى التلمسانيين	دلالتها على الموت	دلالتها على الشفاء	دلالتها على غياب الوعي
26	16	03	07

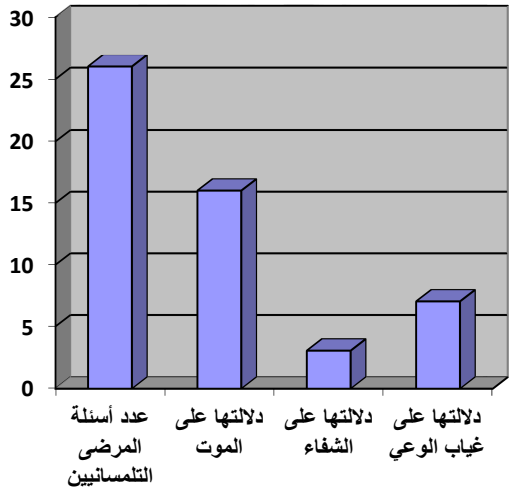

وهذا الجدول يؤضّح مدى علاقة خطاب الـــموت المصاحب دوما للمرض في مسائل التلمسانيين ؛ فالمريض في المنظومة المعرفية التلمسانية في حكم الميت لذا يُستصحب معه الوصيّة والميراث وغيرها من أحكام الموتى[6] ،فيبدو أن المنظومة الصحيّة كانت شبه غائبة إلى درجة أن الناس كانوا يستعينون بممارسات لا تتعلق مباشرة الطّب أو حتى التطبّب مثل الاستعانة بمن يدّعون خوارق العادات[7].

2. النظام الصحي بتلمسان :

لعلّ ماذكرناه سابقا بالمدينة ينبئ بغياب منظومات صحية توازي مؤسسات الدولة التي سيطرت على المدينة – أي الدولة الزيانية– ؛وحتى كتب التراجم لا تعطي سوى معلومات ضحلة عن بعض العلماء تتطببوا و لم يتركوا آثارا مقيّدة يمكننا من خلالها معرفة مكونات النظام الصحي حتى في التراتيب السلطانية،فلا نجد الحديث عن المارستان كما في غرناطة النصرية أو مراكش المرينية ذات الموروث الموحدي ؛ومع ذلك فقد نقل أحد الربيين اليهود وجود مارستانات بناها الجنويون والمورسكيون في فترات متأخرة فلا نجد الحديث عن المارستان كما في غرناطة النصرية أو مراكش المرينية ذات الموروث الموحدي ؛سوى تلك التي بناها الجنويون والمورسكيون في فترات متأخرة والتي أشرنا إليها أعلاه ،وقد ذكر أبو عبد الله محمد ابن مرزوق التلمساني أن أبا الحسن المريني فكّر في بناء مارستان عند سيطرته على المدينة[8] ،ونوازل الونشريسي ملئى بالحديث عن أحباس المرضى ؛ وقد يكون المشار إليه هنا عوائدها في علاج المرضى[9] ؛إلا أن لفظ "قُبالة" الذي استعملة الونشريسي يشير إلى وجود "مكان" يُترك فيه المرضى[10] ؛ ويبدو أنـــها أراضي مخصصة لهم أو بناءات لكنها غير محددة النظام رغم إفتاء بعضهم بقيام الطبيب بتنظيم أحوالها[11] ؛وهذا بالقياس لما فعله المرينيون بفاس الذين حوّلوا

أوقاف الـــمرضى فيها إلى مارستان[12] ،وقد أعطانا "Antoine Phérotée de La Croix" معلومات حولها فذكر أن هناك إثنان للبنادقة والجنويين وأربعة للمورسكيين ويتة للغرباء[13] ،وبالنسبة للمورسكيين تحدث عن مارستان سيدي بومدين الموجود قرب ضريحه والمدرسة المنسوبة له[14] وبالنسبة للتراتيب السلطانية أشار ابن خلدون إلى وجود قهرمان بالقصر الزيّاني اكتشف تسمم عثمان بن يغمراسن بمادة أدت إلى مقتله[15] وقد يقوم القهرمان بالتدبير[16] ؛خاصة إذا علمنا أن هذا القهرمان الزيّاني كان محمد بن إبراهيم الآبلي المشهور باهتمامه بالعلوم العقلية، ورغم ذلك من الصعب تصوّر مدينة تحتوي على حوالي ستين ألف ساكنة في عهد السلطان أبي تاشفين عبد الرحمن[17] حسب الرقم الاستدلالي في العصور الوسطى للكانون (الموقد) الضريبي[18]:خُلوها من مارستان أو مكان لهم فمدن بهذا الحجم وجدت بها مارستانات كما ذكرنا سابقا والمطّلع وثائق أرشيف سيمانكس لا يجد في الكارتوغرافيا الخاصة بهذا المركز ذكرا للمشفى أو المارستان[19] ،وإذا قابلنا بوصف الرّبّي **لازاري**[20] فيمكن أن يكون المارستان الموريسكي شبيها بالمارستان الناصري بغرناطة[21] ، ومن جهة أخرى فيمكننا تقديم علمية هامة وهي كون دار الوكيل التي بقرب ضريح سيدي بومدين والتي ذكر **ديلاكروا** أنّها مارستان موريسكي (مشفى) وذلك من خلا مقارنة مخطط مارستان غرناطة بهذه الدار وفق ما أنجزه المهندسان الإسبان[21] ،والمهندسون الجزائريون كما يظهر في المخططين التاليين[22] :

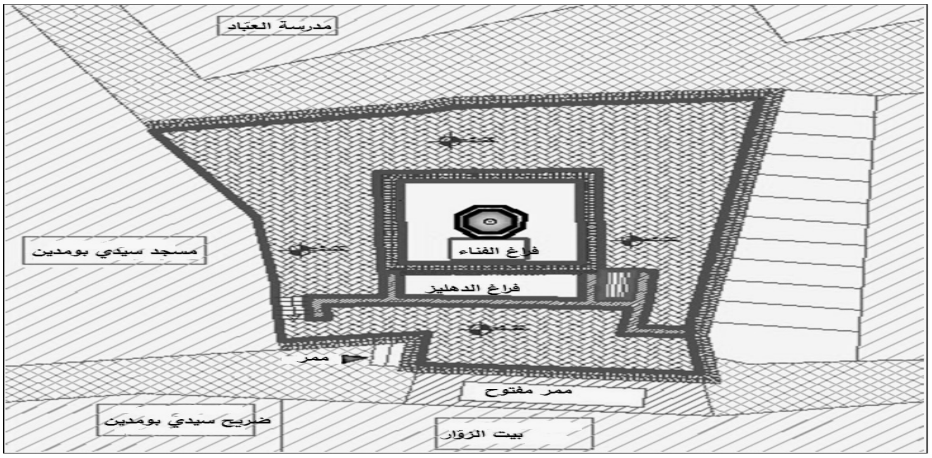
مدرسة العبّاد
مسجد سيدي بومدين
فراغ الفناء
فراغ الدهليز
ممر
ممر مفتوح
ضريح سيدي بومدين
بيت الزوّار

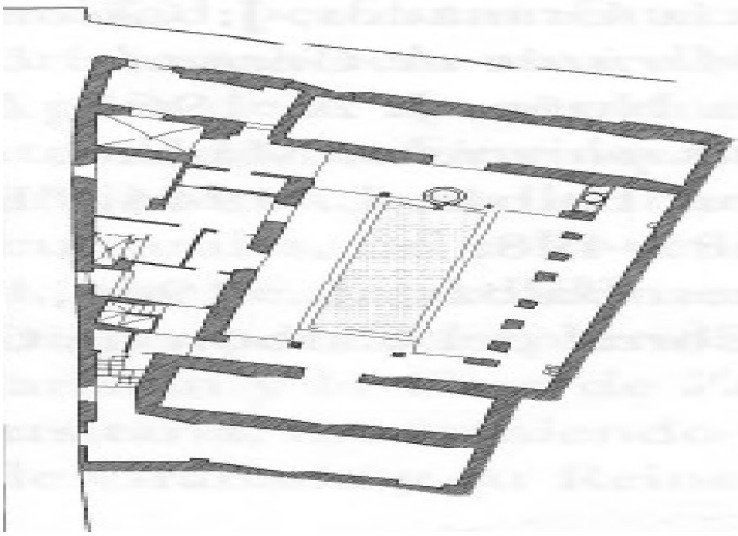

وكانت بالمراكز الدينية في الفترة الوسطى ما يسمى بالوكيل الذي يتكفل بالمرضى[23].

ومن جهة أخرى يصعب تصور قلّة الأطبّاء كما توحي به التّراجم التي عدّت لنا اثنا عشر طبيبا ومتطببا[24]،وتذهب الدراسات الحديثة أن العصور الوسطى كانت تعرف مدبّرا لكل أربعمائة وخمسين إلى خمسمائة من الساكنة[25] ؛فمدينة مثل تلمسان قد وجد فيها حوالي مائة وعشرون (120) إلى مائة وثلاثون (133) طبيبا ومتطببا ومدبّرا .

3. التّلمسانيون زمن الوباء :بين المواجهة والفرار

عرفت تلمسان حسب المدونة الكلاسيكية ثلاث طواعين كبرى خلال القرن الثامن الهجري فيما عرف بالطاعون الأسود[26] ،ومن جهتها تذهب المدوّنة الاسبانية التي غالبا ما تعتمد على تقارير العسكريين والبحّارة إلى أنّ الطواعين تصيب بلاد المغارب كل عشر أو خمسة عشر سنة ؛ وفي نفس الوقت لا تقوم الساكنة بأي جهدٍ تدبيري في موجهتها سوى التمسّح بالتراب الأرميني[27]،أمّا الفقهاء فقد حفظ لنا الونشريسي في طيّ نوازله تأليفا مهما لمحمد بن يوسف السنوسي يؤكّد كلام الحسن الوزان الفاسي ؛فقد أنكر الفرار من الطواعين وهجر المريض وتركه والإنكار هنا بالجانب الأخلاقي مثل الزيارة والمواساة لا التمريض والتدبير والعلاج ،وانتصر إلى القول بالإقامة في أرض الطاعون واحتساب ذلك شهادة[28] ، لكننا نجده من جهة أخرى يعتل بترك المجذوم وتعييب المجذومة في الزواج إنّما قُصد به الرائحة ،وهذا يدّل على غياب الفكر الطبي العلمي في جانب التدبير ،وفي المخطوط المنسوب إلى ابن أبي حجلة التلمساني الموسوم بـــــــ :" الطّب المسنون في دفع الطاعون" فنجده بقدّم تدبيرا

يخالف الطرح الفقهي فهو يدعو إلى حجر المريض وعدم مخالطته[29] مستدلا بالأثر الذي رواه أبو داوود :"أن من القرف التلف" ،كما وصف طرق الحجر المتمثلة فيما يلي :

-تجنب رائحة المريض[30] وهذا يدل على أنهم كانوا يعرفون رائحة الوباء ولا ندري هل استعملوا لذلك أقنعة أم لا.

-ترك أماكن الخلطة مثل الحمامات.

-التزام الحمية ممثلة في الأغذية المخففة.

-السكون في الموضع وترك الحركة مطلقا[31].

-تطهير الهواء من الفساد باستعمال الطرفاء واللبان والسندروس وحرقها على شكل دخّان في تنور ينقي هواء المدينة وهذا مانقل عن الفراعنة كما ذكر[32].

-حفظ جثث الموتى من الطاعون بتنقيعها بواسطة الآس أو تنقيع المكان بدخان الكندر.

-التزام الاحتياط المنزلي باستعمال أدوية طاردة للهواء الفاسد بالمرض مثل الشمع الخام والعنبر وشمّ القطران ،والأترج[33].

- العلاج الذي نقله عن المشارقة مثل محمد بن إبراهيم بن ساعد المعروف بابن الأكفاني وابن النفيس القائم على الدواء المركّب من بعض الأدوية المفردة والتي نقلها من كتبهما تفصيلا[34] أو عن ابن سينا في القانون[35].

فمخطوط ابن أبي حجلة يقدّم صورة أخرى عن المعرفة الطبيّة والتدبير الملتزمة بالطبّ من أصوله العلمية :وهو المخطوط مكتوب بخط مشرقي كما باقي مخطوطات ابن أبي حجلة ولنا أن نتصور ثقافة ابن أبي حجلة التي يمكن القول أنها كانت أقرب للتراث المملوكي المتأثر

بالموروث الفارسي ،ومن جهة أخرى لا نجد تفصيلات للأوبئة أو حتى الطّواعين في مخطوطات الثغري ذي الثقافة الطبية الأندلسية[36].

4. تفسير الأوبئة بتلمسان من الـــمِثولوجيا إلى المؤامرة:

فسّر غالبية الأطبّاء في الفترة الوسطى ومن سلك طريقتهم أن انتشار الطواعين سببه فساد الهواء والجيّف التي تبقى متعفنة من الحروب وفساد التربة[37] ، غير أن الواقف على مخطوط ابن أبي حجلة يفسّر ظهور الطّواعين بالارتباط بالمواقيت الفلكية أي حركات بعض النجوم وقد عزا ذلك إلى آثار وردت حولها مثل أثر الشُهب والرجوم في أواخر الصيف والخريف وظوهر طبيعية أخرى مثل الجفاف وكثرة الحشرات والضفادع[38] ،وقد يضاف إليها المواقيت الفلكية كسقوط الثريا[39] وهذا العزو يعود للأثر المروي عن النبي صلى الله عليه وسلّم :"إذا طلع النجم ذا صباح، رفعت العاهة"[40]،فكانت العرب تحدد مواقيتها بالنجوم للإخبار، غير أنّ ابن خلدون الذي تلقى العلوم العقليّة بتلمسان عن شيخها الآبلي يذهب إلى القول بأن "قِران النّحسين في برج السّرطان في كلّ ثلاثين سنة مرّة ويسمّى الرّابع وبرج السّرطان هو طالع العالم وفيه وبال زحل وهبوط المرّيخ فتعظم دلالة هذا القران في الفتن والحروب وسفك الدّماء وظهور الخوارج وحركة العساكر وعصيان الجند والوباء والقحط ويدوم ذلك أو ينتهي على قدر السّعادة والنّحوسة في وقت قرانهما على قدر تيسير الدّليل فيه"[41] وهذا الكلام منقول عن أبي الشكر المغربي[42] ، ويذكر نقلا عن البكري وجود "مؤامرة" أو عمل سحري وجد في طست من النحاس كتبت عليه طلاسم مجهولة وهذا مما أدى التعفن وانتشار الوباء[43]،ومن أهم الإشارات التي تذهب إلى الاستعمالات غير عادية في الحروب هو موت بعض السلاطين بالطواعين أثناء معاركهم الحربية والملاحظ أن هذه الحال تزداد كلما اتجهنا شرقا أي في

حروب الزيانيين أو غيرهم مع الحفصيين أو القبائل البربرية والعربية ،ويوضّح تعداد المعارك هذه الحالة في كتب المدونة السلطانية الزيانية كما يوضحه جدول المعارك التالي المرتبط بالمرض والموت[44]:

المعركة (المكان)	تاريخها	أميرها	الوفاة	المرض
ميلة	681ه /1283م	يغمراسن بن زيان		
بجاية	720ه /1321م	علي بن عمر		
جبل بني توجين	707ه/1308م	أبوزيّان		
وادي صا	790ه/1388م	المنتصر بن أبي حمو		
تازة	795ه/1393م	أبوتاشفين		
جبل هنتاتة		أبو الحسن المريني		
تونس	749ه/1348م	ابن عبد النور التلمساني		
تلمسان	703ه/ 1303م	عثمان بن يغمراسن		
تازة	796ه/1394م	أبو العبّاس بن أبي سالم		
تلمسان	733ه/1333م	الأمير عبد الرحمن المريني		
تلمسان	774ه/1372م	عبد العزيز المريني		

والمؤرخون هنا يستعملون لفظ هلك وعادة تأتي مصاحبة لمرض ونهاية الملك وبالتالي ليست كالوفاة التي تكون في مراحل متقدمة ونتيجة الهرم ؛والملاحظة الثانية هو أن موت هؤلاء القادة كثيرا ما صاحبته حرب أو دسيسة :والظاهر أن أغلب هؤلاء ماتوا من مرض لم يذكره المؤرخون ويبدوا أنهم فشلوا في علاجه كما حدث للسلطان أبي الحسن المريني الذي مرض مع حاشيته كلها وبالتالي فالمرض معدٍ واستعمل الفصد وأدى به نتيجة استعماله الماء للتورم فمات[45] ،وقد شاعت في أدبيات الكتابة التاريخية للعصور الوسطى استعمال الطواعين في الحروب كوسيلة لقهر العدو[46]،وهذا يقوّي ايحاءات ابن خلدون التي نقلها عن البكري في تعمد نشر الأوبئة خلال هذه الفترة ؛وهذا ما قد يدفعنا لتفسير هذا الموت المصاحب لوفاة أمراء وسلاطين بني زيان وغيرهم بعد او أثناء كلّ غزوة.

5. التدبير التلمساني بين التطبب وحفظ الصحة

تؤدي الأطاريح السابقة الذكر إلى ضحالة المعلومات الصحيّة بتلمسان في جانبها الطبي لكن من جهة أخرى لا يمكن الإدّعاء بغياب منظومة صحيّة في مدينة كبيرة مثلها وُصفت نخبتها بأنّها من أكثر نخب مدن المغرب عناية بملابسها وخصوصيتها سواء كانت في التجار أو السلاطين وحاشيتها[47]،وكان سلاطينها يعتمدون على الجند الرومي[48] ؛ وربما قد يكونون من الأوروبيين أو الجنويين ،يضاف إلى ذلك النخبة التلمسانية الطبية التي تتكفل بالسلطان ويبدو أنّـــها أندلسية سواء كانت من المسلمين[49] أو اليهود[50] ،ويمكن القول أنّ التلمسانيين كانوا يعتمدون في التطبب على غيرهم ، وفي التدبير على حفظ الصحة الذي هو علم تدبير الأبدان الصحيحة[51] ،وفي حقيقته هو صناعة طبية[52] ؛ويمكن التأكيد حسب القواعد

التي ذكرها ابن سينا في صناعة الصّحة على ذلك في المنظومة التملسانية حسب وصف الحسن الوزان الفاسي[53] عبر ما يلي :

-اعتدال المزاج ويبدو ذلك من خلال الميل للدّعة والتمتع بالحياة لدى مختلف الطبقات.

-نظافة اللباس والاعتناء بها وتنوعها حسب كلّ طبقة.

-تنوع الغذاء وصحته بالمدينة وتفرّدها ببعضها عن كل بلاد المغرب.

-تعدد المياه واستعمال الحمامات ؛حيث كان التلمسانيون بستعملونه في علاج البهق بالدهن بواسطة بصل العنصل والخل[54] ،والمياه تستعمل في علاج أمراض مثل الحمّار والنقرس والأورام الحارة باضفة الصندل[55].

-أغلب الأدوية غذائية سواء المفردة كالتي ذكرها الثغري في معجمه ،أو المركبة مثل المعاجين والأشربة والسفوفات التي ذكرها في رسالته[56] مع اعتمادية على المدونة الطبيّة الأندلسية.

- الأمراض غير وبائية الظاهرة بتلمسان تُداوت بالعلاج الغذائي المحلي ويدل ذلك أن أسماءها كانت بالبربرية المحليّة الزناتية منها:

- السودا:هو المالنخوليا وهو ضرب من الجنون بسبب اختلاط العقل من غير حمى وهو نوعٌ من الوسواس السوداوي وقد عالجوه بالحوّان[57].
- خفقان القلب :نفس الدواء السابق.
- البهق: عالجوه بدواء مفرد سُمّي آطريلال[58]
- الحصاة :عالجوه بالرّجلة[59].

- أمراض الأذن :البرواق [60].
- الحمّار:عالجوه بالصندل[61].
- الحكّة: مع الحريرة بالشانوز[62].
- مرض المرارة : بشحم القنفذ[63] .
- لذع العقرب : تداووا عليه بالتِلبلفاف[64]
- قرحة الأمعاء ونفثت الدم : بواسطة الياسمين[65].
- الكابوس وحديث النفس يشراب الترنجان[66].

ومن جهة أخرى يلاحظ كثر استعمال الأدوية المركّبة التي ذكرها الثغري في تقوية الباه والنكّاح ويفسر هذا على الاتجاه المزداد كمّا ونوعا كطريقة اجتماعية في مواجهة تفشي الأوبئة والمجاعات والحروب والتي من أهما :

-معجون الجلجان[67].

- معجون قشر الاترج[68] .

-معجون الجزر[69] .

-معجون السِنجم وقد ذكر الثغري انه قام بتجربته ويبدو من خلال هذا الكلام وجود ما يشبه موضع صناعة المعاجين[70]

ويزيد من التفسير التوسع العمراني الذي عرفته تلمسان بعد كل نكبة حيث بلغ عدد دورها ثلاثة عشر ألف دار بعد انهيار المرينيين المحاصرين لها دوما[71] ،وتفسير ذلك أن هذه السياسة الاجتماعية والديمغرافية عرفتها القرون الوسطى الغاصّة بالحروب والأوبئة والمجاعات[72].

خلاصة واستنتاجات:

لم تشّذ تلمسان –طبيعيا –من الوصف الوسيطي بخصائصه العقلية والدينية والاجتماعية ؛ لكنها في الجانب الصحي ظهرت فيها أعمدة أساس ميّزتها عن باقي المدن ويمكن حصر هذه الأعمدة في :

- الديمُوغرافيا.
- العزلة عن الوسط المغاربي.
- النظام الصحي الاجتماعي البعيد عن السيطرة المركزية للسلطة السياسية والمدّبر بالمحيط الطبيعي.

فالديموغرافيا المتنامية رغم الصدمات الخارجية الوبائية حافظت على وضعها الطبيعي و لم يصبه الاختلال كما أصاب مدن مغاربية بل وأوربية تعرضت للفناء كلية .

أما العزلة عن الوسط المغاربية بفضل عمرانها وحروبها المتوالية مع خصومها شرقا وغربا،ممثلة في الحفصيين والمرينيين وحلفائهما من القبائل البربرية والعربية.

ويبقى النظام الصّحي القائم على حفظ الصّحة أساسا والمعتمد على الموروث الأندلسي من جهة والموجود الطبيعي المحلّلي أكسباها كل هذه المناعة التي منعت المدينة من الانهيار.

ورغم الطرح الذي قد يبدو "سلبيا" للنظام الفقهي المحلي والغياب المثير للسلطة المركزية ؛ فإنّ النّظام الاجتماعي تجاوز كل هذا المحيط الذي استطاع أن يفرض ضغطه على مجال حضاري أقوى وأوسع ممثلة في الأندلس ومملكتها الأخير النّصرية التي كان وباء الطاعون

أحد أهم أسباب انهيار كما أشار إلى ذلك لسان الدين ابن الخطيب وابن خاتمة الانصاري والشقوري.

ويبقى الغائب الكبير في هذه الدراسات ممثلا في التنقيب الأثري والحفريات خاصة في المقابر التي تعطي الدراسات الباليونتولوجية معلومات أكثر دقّة في هذا الباب.

المختصرات :

- **بالعربية : و**:وجه ورقة المخطوط– **ظ**:ظهر ورقة المخطوط
- **باللغة اللاتينية:**

(AGS : Archivo General de Simancas).

الهوامش:

[1]- Lawles (Richard L).,Tlemcen, capitale du Maghreb central. Analyse des fonctions Analyse des fonctions d'une ville islamique médiévale Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée pp. 49-66,Année 1975 vol 20 ,p45 .

[2] - غوتنر (سيباستيان)،المعرفة والتراث العلمي في إسلام ما قبل الحديث:إرث فكري ثريٌّ في مجال التقاطع بين التعليم والدين،ترجمة عادل حدجامي، مجلة تفاهم ،(ص–ص:229–282)،العدد 68 ، السنة 2020،تصدر عن:وزارة الأوقاف والشؤون الدينية،سلطنة عُمان – مسقط ،ص:233.

[3] - بن عطاء الله (فؤاد بن أحمد) ،مؤلفات علماء تلمسان في علوم القرآن والفقه والعربية دراسة ببليوغرافية، مجلة التراث ،ص–ص:87–110،العدد 32 ، المجلد التاسع ، ديسمبر 2019،تصدر عن جامعة عاشور زيّان الجلفة،ص:102.

[4]- الرصّاع (محمد الأنصاري أبو عبد الله التلمساني)، شرح حدود ابن عرفة،تحقيق: محمد أبو الأجفان – الطاهر المعموري،نشر: دار الغرب الإسلامي،السنة: 1993،ص564.

[5]– الونشريسي (أبي العباس أحمد بن يحيى)، المعيار المعرّب والجامع المُغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب ،إشراف الدكتور محمد حجي،نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية:1401هـ – 1981م.

[6]– نفسه :ص400 .

[7]– نفسه: 395.

[8]– ابن مرزوق (محمد) التلمساني ، المسند الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن ، تحقيق ونشر ماريا خيسوس بيغرا ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1401-1981م،ص 415.

[9]– الونشريسي، المصدر السابق ،ص341.

[10]– نفسه : ص106.

[11]– نفسه :ص 342 .

[12]– عيسى بك (أحمد)، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، نشر: دار الرائد العربي، بيروت: 1401 ه-1981م،ص244.

[13]–De La Croix (Antoine Phérotée), Relation universelle de l'Afrique, ancienne et moderne, Thomas Amaulry ,Lyon :1644, Volume II p12.

[14]–op_cit : P14.

[15]–ابن خلدون (عبد الرحمن) ،ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،تحقيق: خليل شحادة، نشر: دار الفكر، بيروت:ط2، 1408 هـ - 1988 م، ج7،ص127.

[16]–الخطيب (مصطفى عبد الكريم الخطيب)،معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ،مؤسسة الرّسالة ، بيروت :1416-1996ص355.

[17]–الوزّان (الحسن الفاسي)، وصف افريقيا ، تحقيق محمد حجي ، نشر :دار الغرب الإسلامي :بيروت :1993،ص:17.

[18]–André-Pierre Chavatte, Bernard Reubrecht, Chroniques de St Médard de Mussidan, édition Book on demande ,Paris : 2014, Vol 1, p15, *ref 6*.

[19]- Archivo General de Simancas — Signatura: MPD, 23, 072 — Signatura anterior: SGU, 03463 — Nº de registro: 072.

[20]_ lasry (Albert) ,Histoire de la pharmacie indigène de l'Algérie et son folklore , imprimerie Achour Fares ,Oran 1937 ,p

[21]- Antonio ALmagro, Antonio Orihuela, El Maristán nazarí de Granada. Análisis el edificio y una propuesta para su recuperación,Boletín de la Real Academia de Bellas Artes de Nuestra Señora de las Angustias de Granada(200-), n°10,p 107.

[22]- Belaid née Ghaffour Wafa, Patrimoine architectural, entre technicité, confort et durabilité : Cas de la maison de L'Oukil du Sanctuaire de Sidi Boumediene, Mémoire Pour l"obtention du Diplôme de Magister en Architecture,université de Université Abou Bakr Belkaïd – Tlemcen,2014,p 201.

[23]_ Hippolytus ,Canones S. Hippolyti, D.B.De Haneneberg,Monachi , Sumptibus Academiae Regiae Boicae ,france:1870,p :45.

[24]- بختاوي (قاسمي)، الطبّ والأطباء بتلمسان في العهد الزيّاني،المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية،ص–ص:118–128، المجلد 2 ، العدد الرابع ،مجلة تصدر عن مخبر الجزائر والحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط،ص:125.

[25]- Nicoud (Marilyn), Formes et enjeux d'une médicalisation médiévale : réflexions sur les cités italiennes (XIIIE-XVE siècles), p-p :7-30 ,Genèses 2011/1 (n° 82),p6 .

[26]- بلعربي (خالد) ،الأوبئة والمجاعات بتلمسان،مجلة كان ،ص–ص:19–29،العدد:04،السنة 2009 ،ص23.

[27]- الحسن الوزان الفاسي ،وصف إفريقيا ، تحقيق محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت:1983،ص68.

[28]- الونشريسي،المصدر السابق،ج،11ص ص352–360.

[29]-ابن أبي حجلة التلمساني ، الطب المسنون في دفع الطاعون،طرابلس الأوقاف ،1145(مجموع)،ورقة5و.

[30]- نفسه.

[31]-نفسه ،ورقة 6و.

[32]- نفسه ،ورقة 6ظ.

[33]- نفسه ،ورقة 7و.

[34]– ابن النفيس (علي بن أبي الحزم القرشي)،الـــموجز في الطّب ، تحقيق :يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت:2004،ص286.

[35]– ابن سينا (الحسين بن علي)،القانون في الطّب،تحقيق محمد أمين الضناوي،نشر: دار الكتب العلمية،بيروت: 1420 ه- 1999م،ج3،ص165.

[36]– شخوم سعدي ،مقدمة تحقيق معجم طبي للثغري (إبراهيم بن أحمد التلمساني)، معجم طبي، مجلة أم القرى ،ص-ص:141-183،مكة المكرّمة، العدد 67 .2016،ص:133.

[37]–ابن أبي حجلة،المصدر السابق، 8 ظ.

[38]– نفسه 9 و.

[39]– البسطامي (عبد الرحمن بن أحمد)،درة تاج الصباح،مخطوط بالأوقاف طرابلس: 1145(مجموع)،10ظ.

[40]–أحمد بن حنبل ،المسند ،تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون،إشراف: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي،نشر: مؤسسة الرسالة،ط1: 1421هـــ -2001 م، ج14،ص192.

[41]–ابن خلدون (عبد الرحمن)، المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر،القاهرة ط6:2014، ج2،ص769-770.

[42]– إبن أبي الشكر المغربي (يحيى بن محمد)، أحكام تحاويل سني العالم،تحقيق خالد نوفيد،2020 ،ص99.

[43]–ابن خلدون، المصدر السابق، ص433.

[44]– ناصري(محمد)، الحرب والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني،اشراف بلعربي خالد،جامعة جيلالي اليابس ، سيدي بلعباس :2020-2021،ص ص:29-39.

[45]–ابن خلدون ، المصدر السابق، ج7، ،ص380.

[46]-Grmek. M. ,Ruses de guerre biologiques dans l'Antiquité, Revue des Études Grecques p-p : 141-163,Vol. 92, N°. 436/437 (Janvier-Juin 1979), p142.

[47]-الوزان ،الـــمصدر السابق،ص،22.

[48]–ابن خلدون،المصدر السابق،ج7،ص 107.

[49]– الثغري (إبراهيم بن أحمد التلمساني)، معجم طبي، تحقيق شخوم سعدي ،مجلة أم القرى ،ص–ص:141–183،مكة المكرّمة، ع67.2015 ، ص157.

[50]– lasry,op_cit,1,p22.

[51]– ابن سينا ،المصدر السابق،ج،1،ص80.

[52]– نفسه ،ص202.

[53]–الوزان ،الـــمصدر السابق،ص ص:20–21.

[54]– لثغري ، الـــمصدر السابق،ص146.

[55]– نفسه ،ص146.

[56]–الثغري (إبراهيم بن أحمد) التلمساني ، تقييد في ماهية الأعشاب ومنافعها (الخزانة العامة: الرباط،1705 ،1و–2ظ.

[57]– الثغري،معجم طبي،ص144.

[58]–شخوم ، المرجع السابق،ص135.

[59]–لثغري ، المصدر السابق، ص145.

[60]–نفسه،ص146.

[61]– نفسه،ص155.

[62]– نفسه،ص159.

[63]– نفسه.

[64]– نفسه،ص160.

[65]– نفسه ،ص161.

[66]– الثغري،رسالة في الأدوية،ورقة 2ظ.

[67]–نفسه،ورقة 1و.

[68]– نفسه،ورقة 2ظ.

[69]– نفسه،ورقة 1و.

[70]– نفسه، ورقة 1و.

[71]–الوزان،المصدر السابق، ص:19.

[72]– Arnoux (Mathieu),Croissance et crises dans le monde médiéval xie-xve siècle :Réflexions et pistes de recherche, revue cahier de monde Russe ,p-p :115-132,volume 45 ,n°1-2 ,année :2005,p121.